

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الطَّاهِرِ الزَّكِيِّ الْأَمِينِ وَالْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَصَحْبِهِ الْغُرَّ الْمِيَامِينَ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ وَبَلَّغَ عَنْهُ آيَةً وَاهْتَدَى بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ أَمَّا بَعْدُ :

فإن الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني للهداية والتشريع الإسلامي ، فخير وقت يقضيه الإنسان حينما يُشغَلُ نفسه في الحديث وعلومه لأنَّ ذلك يُعَدُّ من أفضل القربات إلى الله تعالى بعد القرآن العظيم ، فنجد حرصَ سلفنا الصالح على حفظه ودراسته واستنباط أحكامه والإحاطة به من كل جوانبه ، فهياً الله تعالى لحفظ حديث نبيه ورسوله ﷺ بعد رحيل الصحابة الكرام وتابعيهم (رضي الله عنهم) ، علماء أجلاء وجهابذة كباراً قاموا بحفظه وكتابته ودراسته وتمحيص صحيحه من سقيم ، فتشعبوا فيه ونشروه ، وذاودوا عنه ، ونفوا عنه انتحال المبطلين المغرضين ، جيلاً إثر جيل ، وقرناً يتلوهم قرن ، حتى جاء القرن الهجري السابع ، الذي شهد بزوغ أنجم لامعة في سماء الثقافة الإسلامية كان من بينهم محدثون أخذوا المكانة اللاتئة بين أقرانهم في ردد الحركة العلمية ، وكان في مقدمتهم الإمام الهمام شيخ الإسلام وقاضي القضاة أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي الشافعي الكناني ، الذي كان مشاركاً في كثيرٍ من العلوم ، إلا أن مكانته العلمية ظهرت واشتهرت في الحديث الشريف وعلومه ، ولا سيما إحاطته بعلم المصطلح ، وعلم الرجال .

فسلَّطت الضوء في دراستي هذه على حياته ومصنفاته وجهوده في علم الرواية والدراية ، فهو يستحق منا الكثير لأنه أفنى عمره الذي امتدَّ لنحو قرنٍ من الزمن في

خدمة الحديث الشريف وعلومه تحملاً وأداءً وتديراً وإملاءً وتصنيفاً ، ومنافحاً ومدافعاً عنه ضد كل مبطلٍ يريد النيل منه أو إدخال ما ليس منه فيه . فهو يستحق لقب عالم القرنين السابع والثامن الهجريين ، لأنه عاش أكثر من ستين عاماً في القرن السابع وثلاثة وثلاثين عاماً قضاها في القرن الثامن .

ومن الأسباب التي دعنتي لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه :

حُبِّي وتعلُّقي بسنة النبي ﷺ ، وأن أنخرط في سلسلة خُدام هذه السنة المطهرة ، وأحببت أن أُبين جهود عَلم من أعلام السنة النبوية ، فوق اختياري على هذا العالم الجليل قاضي القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة رحمه الله تعالى . كما أحببت أن أُبين جهوده في الحديث النبوي الشريف درايةً وروايةً ، لأجل أن يتأسى الخلف بجهود وأعلام السلف . هذه الأسباب وغيرها دعنتي الى الكتابة في هذا العنوان المبارك وسميته (الإمام ابن جماعة وجهوده في الحديث وعلومه) .

وقد بذلت قصارى جهدي لإحصاء مؤلفات الإمام ابن جماعة ، فاجتمع لي مما طالعه من كتبه المطبوعة ، ومما وجدته في فهارس الكتب والمخطوطات ، والكتب المفهرسة للعلوم والمؤلفين ، وغيرها من معاجم الشيوخ ، من كتبه المخطوطة والمفقودة ، فكانت نحواً من خمسةٍ وثلاثين مؤلفاً ، بين كتابٍ كبيرٍ ومتوسط ، وجزءٍ صغير . فكانت دراستنا له دراسة علمية قامت على الإحاطة بما كتب عنه ، مع أن عدد الباحثين الذين حققوا بعض كتبه قاموا بكتابة دراسة عن حياته ومؤلفاته ، إلا أن أحداً منهم - بحسب علمي - لم يقم بدراسة تصانيفه والتعريف بها وبيان منهجها وأهميتها وأثرها في الحديث الشريف وعلومه . وأخص بالذكر الجهود العلمية التي سبقنتني في الكتابة عن هذا العَلم والتي منها ما يتعلق بسيرته الشخصية ومنها ما يتعلق بتحقيقات مؤلفاته ومنها ما يتعلق بحياته العلمية ، وأخص منها الدراسات التي وقفت عليها وقد استفدت منها الكثير وهي :

١- المنهل الروي في علوم الحديث النبوي ، تحقيق : د. محيي الدين عبد الرحمن

رمضان ، دار الفكر - دمشق ط ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، و ط ٢٠٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٢- مختصر في مناسبات تراجم البخاري لأحاديث الأبواب بتحقيق الأستاذ :

محمد إسحاق محمد ابراهيم السلفي ، في الهند ، الدار السلفية - بومباي ط ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٣- القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وآثاره - دراسة بقلم الأستاذ الدكتور

عبد الجواد خلف ، مدير ومؤسس جامعة الدراسات الإسلامية - كراتشي ، القاهرة ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٤- مشيخة ابن جماعة بتخريج البرزالي ، تحقيق : د. موفق بن عبد الله بن

عبد القادر ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، عدد الأجزاء ٢ .

وغيرها كثير ذكرته في المبحث الثاني من الفصل الثالث والخاص بتأليفه .

ومن المصادر التي استفدت منها في إعداد هذا الأطروحة ، كتب علم الحديث دراية ، وكتب شروح الحديث رواية ، وكتب اللغة والقراءات والأدب ، وكتب السير والتراجم والتاريخ ، وأيضاً استفدت من أمات كتب الفقه وأصوله .

هذا وقد اقتضى منهج البحث وخطته تقسيم هذه الدراسة على مقدمة وبابين

وخاتمة :

أما المقدمة : فخصصتها لبيان السبب الداعي لاختياري هذا الموضوع ومنهج

البحث فيه ، وإيضاح خطة السير فيه .

وأما الباب الأول : فخصصته لدراسة حياة الإمام ابن جماعة وعصره ، وقد

قسمته على أربعة فصول على النحو الآتي :

الفصل الأول : يتضمن عصر الإمام ابن جماعة الذي عاش فيه من جميع

جوانبه السياسية والاجتماعية والفكرية ، وما رافق ذلك من أحداث مهمة .

والفصل الثاني : قسمته على خمسة مباحث : تحدثت في المبحث الأول منه عن اسمه ولقبه وكنيته ونسبه .

وفي المبحث الثاني : فتكلمت عن ولادته ونشأته وأسرته .

وفي المبحث الثالث : تحدثت فيه عن سجاياه وخصاله .

وفي المبحث الرابع : تكلمت فيه عن عقيدته ومذهبه .

وفي المبحث الخامس : ذكرت فيه وفاته (رحمه الله تعالى) .

أما الفصل الثالث : فتكلمت عن سيرته العلمية فجاء مُقسِّمًا على أربعة مباحث

على النحو الآتي :

أما المبحث الأول : تحدثت فيه عن بدء طلبه للعلم ورحلاته .

وأما المبحث الثاني : تكلمت فيه عن تدريسه وتأليفه .

وأما المبحث الثالث : فذكرت فيه ثناء العلماء عليه .

وأما المبحث الرابع : فقمت بسرد وتوضيح تنوع علومه ومعارفه .

أما الفصل الرابع : فتكلمت فيه عن شيوخه وتلاميذه وأبرز معاصريه وبيَّنت

كثرة شيوخه ، فترجمت لأبرزهم ، وعَرَّفْتُ بإيجاز أيضاً بمشاهير تلاميذه ، وبعض

معاصريه ، مرتباً الجميع على سِنِّي الوفاة .

أما الباب الثاني : فقد خصصته للكلام على جهوده في الحديث النبوي وعلومه

وقسَّمته على تمهيد وثلاثة فصول :

أما التمهيد : فقد تحدثت فيه عن تعريف الحديث وبيان أهميته ومراحل تدوينه

أما الفصل الأول من هذا الباب فهو : جهوده فيما يتعلق بالرواية ، واشتمل

على خمسة مباحث :

أما المبحث الأول : فكان لدراسة كتابه الأحاديث التساعية الإسناد .

أما المبحث الثاني : فهو لدراسة كتابه مناسبات تراجم البخاري .

أما المبحث الثالث : فخصصته لدراسة القسم الثاني فيما ورد من صحيح الأخبار في صفة الواحد القهار في كتابه (إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل) .

أما المبحث الرابع : فخصصته لدراسة القسم الثالث في الأحاديث الضعيفة التي وضعتها الزنادقة أعداء الدين وأرباب البدع المضلين ليلبسوا على الناس دينهم في كتابه (إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل) .

أما المبحث الخامس : فكان في دراسة مؤلفاته الأخرى في الحديث .

أما الفصل الثاني : فهو في جهوده في مصطلح الحديث واشتمل على تمهيد وتصنيفه لكتاب المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي .

أما التمهيد فتحدثت فيه عن نشأة علوم الحديث وتطورها عبر التاريخ .

ومن ثم دراسة كتابه المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي .

أما الفصل الثالث : فهو في جهوده في علم الرجال ، واشتمل على مبحثين

أما المبحث الأول : فكان في دراسة كتابه المشيخة .

أما المبحث الثاني : فكان في تصنيفه أرجوزتين في القضاة والخلفاء .

### منهجي في دراسة مؤلفات الإمام ابن جماعة :

استعنت بالله تعالى بعد اختيار الموضوع ، بجمع مؤلفات قاضي القضاة وشيخ الإسلام ابن جماعة ، فعكفت على قراءتها محاولاً وصفها وبيان منهجها بما يليق بها ، وذلك على النحو الآتي :

١- إنِّي أذكر اسم الكتاب أولاً ثم أُشير إلى أماكن وجوده ، كما أذكر مكان الطبع وسنته واسم المحقق ودار النشر إذا كان مطبوعاً ، ثم أُشير إلى من ذكره ، ثم أصفه .

٢- أُبين منهج الإمام ابن جماعة في هذا الكتاب استناداً على قراءتي له بتدبير ثم أعطي بعد ذلك الوصف والقول فيه ، وأعرّف بالفن الذي ألّف فيه .

٣- أحياناً أذكر موارده في هذا الكتاب ، والباعث على تأليفه ، وما ظهر حوله من دراسات إن وجدت سواءً أكانت شروحاً أم تعليقات .

٤- أذكر جهوده الحديثية فيه .

٥- أما بالنسبة لكتبه التي لم يتيسر لي الوقوف عليها فإنني أصفها اعتماداً على ما ذُكرَ عنها في طيّات المصادر الأخرى من كتب التراجم والفهارس مطبوعةً كانت أم مخطوطة ، وبما ذكره محققو كتب الإمام ابن جماعة .  
أما الخاتمة : فعرضت فيها أهم النتائج التي تمخضت عنها كتابة هذه الأطروحة .

وعلقت في ذهن عقبات في أثناء مراحل البحث ، إلا أنها هانت أمام مثل هذا الموضوع الخاص المتعلق بحديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي طابت به الدنيا ، كيف لا وقد أنشد شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة في هذا المقام شعراً إذ قال :  
وإذا ما قصدتُ طيبة شوقاً صار سهلاً لذي كل عسير  
وإذا ما تثبت عزمي عنها فعسيرٌ عليّ كل يسير<sup>(١)</sup> .  
هذا ولا أدعي الكمال فيما بحثت وكتبت ، لأن من شأن بني آدم الخطأ والنسيان ، وإن الكمال لله تعالى وحده ، فجلّ من لا يسهو ولا يغفل تبارك ربنا وتعالى ، فرحم الله تعالى من وجد سهواً أو وهماً فأصلحه وسدّده .

وختاماً الله تعالى أسأل أن يوفقنا إلى كل خير يرتضيه ، وأن يبعثنا عن كل شيء لا يرتضيه ، وأن يرزقنا حسن الخاتمة ، وحسن الإتيان لسيد السادات وقائد القادات سيدنا محمد رسول الله صلّ اللهم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلّم تسليمًا كثيراً ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد يارب العالمين .

(١) أعيان العصر وأعوان النصر ، لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ت ٧٦٤هـ ، تحقيق : الدكتور عليّ أبي زيد ، وآخرين ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، و دار الفكر - دمشق ط ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ٢١٢/٤ .